الفصل الثاني

شبكة من الخداع: التحريض على الكراهية عبر الإنترنت
A Web of Deception: Fomenting Hate Online

على الرغم من أن عاصفة الجدل لم تجتح بعد منطقة مانهاتن السفلى Lower Manhattan، إلا أنّ باميلا جيلير Pamela Geller كانت تعرف أنّ العاصفة بدأت تلوح في الأفق؛ لأن ذلك كان جزءاً من خطتها. وكانت قد أنهت قبل الساعة الحادية عشرة من مساء السادس من مايو (أيار)، ٢٠١٠ الأسطر الأخيرة من مدوَّنةٍ اتّسمت بالأكاذيب المنفّرة والممتلئة بمشاعر العداء للمسلمين، والتي سوف تتحول قريباً لتكون الدافع لنوبة من الجنون في وسائل الإعلام المتهورة، وإلى انتفاضة وطنية. وكانت قد عنونت مدوَّنتها بوضوح كالآتي "المسجد الوحش يمضي قُدماً في ظل الموت والدمار الإسلامي لـمركز التجارة العالمي"، وهو تعبير واضح على عدم الموافقة على إنشاء المركز الاجتماعي الإسلامي المُزمع بناؤه على بُعد صفين من المباني إلى جهة الشمال من موقع البرجين التوأم المتهدِّمين.

لم تكن الخطط لبناء بارك ٥١ Park51 -كما كان يُطلق على المشروع -مثيرة لأدنى حدٍّ من الجدل في البداية، وكانت الأمور تسير على ما يرام لأكثر من عام. وكان الموقع المقترح -وهو متجر مهجور لشركة Burlington Coat Factory ويُستخدم كمسجد مؤقت -

قد امتزج مع المباني ذات الواجهة الحجرية الشبيهة بالقصور التي تمتد على شارع بارك بليس Park Place. وكان الكثير من الناس القاطنين في حي جنوب تريبيكا southern Tribeca يهرولون بمحاذاته بطريقهم إلى داكوتا رودهاوس Dakota Roadhouse، ولم يكونوا يدركون أنّ البناء المتهالك يُستخدم كمعبد.

وكان من أنصار المشروع بارك ٥١ - الذي وافق عليه المجلس البلدي في لوير مانهاتن Lower Manhattan Community Board - كلاً من مكتب رئيس البلدية، وأصحاب المحال التجارية المحليين، وأسر الضحايا من اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر(أيلول). "إنّ شراء قطعة أرض مجاورة إلى الدور صفر Ground Zero يُعدّ خطوة جريئة"، هكذا قالت آليس هوغلاند من مدينة لوس جاتوس في ولاية كاليفورنيا التي لقي ابنها حتفه على متن الطائرة المختطفة التي تحطّمت في أحد الحقول في ولاية بنسلفانيا، وأضافت آليس "لكنه عمل نبيل". كما تلقّى المشروع الثناء من لين راسيك Lynn Rasic المتحدثة باسم المتحف والنصب التذكاري الوطني لذكرى ١١ سبتمبر، وقالت إنَّ "فكرة إنشاء مركز ثقافي من شأنه أن يعزّز الروابط بين المسلمين والمواطنين من جميع الديانات والخلفيات، هو أمر إيجابي"[1]. وكانت الفكرة قد أعجبت المعلِّقة السياسية المحافظة لورا إينغراهام Laura Ingraham. حيث عبَّرت عن ذلك-مع إيماءة من التأييد-قائلة "لا أستطيع أن أجد لدى الكثير من الناس مشكلة في ذلك"[2].

وفي الأشهر الخمسة التي تلت التقارير الأولية عن تطوير المركز الاجتماعي، انحرف مشروع بارك ٥١ إلى منطقة التجاهل. وأشار ربيع العام ٢٠١٠ إلى مجموعة من العناوين الرئيسة التي كانت مسيطرة أكثر من تلك العناوين المتعلقة بخطط لإقامة منشأة على نمط جمعية الشبان المسيحية YMCA في مدينة نيويورك. ففي شهر يناير (كانون الثاني)، هزّ زلزال ضخم لا مثيل له دولة هايتي؛ مما أسفر عن مقتل أكثر من

٢٣٠,٠٠٠ شخص، وتشريد ما يُقدّر بـمليون آخرين. وفي شهر فبراير (شباط)، تحوّل معظم اهتمام وسائل الإعلام إلى الحديث عن دورة الألعاب الشتوية Winter Olympics؛ حيث احتلت الولايات المتحدة المركز الثالث حاصدة تسع ميداليات ذهبية. وبحلول شهر مارس(آذار)، انتزع النقاش السياسي حول إصلاح نظام الرعاية الصحية الأضواء؛ وذلك عندما أصدر الكونغرس قانون الرعاية الصحية والتعليم التصالحي Health Care and Education Reconciliation Act. وفي شهر أبريل (نيسان)، بدأت التغييرات الصاخبة حول حقوق المرضى وخيارات الدفع تتجه نحو الزوال عندما اشتعلت النيران في منصة "ديبووتر هورايزن" Deepwater Horizon –وهي منصَّة نفطية استكشافية تبعد نحو ٥٠ ميلاً قبالة سواحل ولاية لويزيانا،حيث تدفّق أكثر من ١٨٥ مليون غالون من النفط في خليج المكسيك–وهو أكبر تسرب نفطي في التاريخ.

ومع غياب وسائل الإعلام الرئيسة التي تسلِّط الضوء على التقدم في مشروع بارك ٥١، كان من الواضح أنّ خطط إنشاء مجمَّع بتكلفة ١٤٠ مليون دولار، والمؤلَّف من ١٣ طابقاً سوف يمضي قدماً دون ما انقطاع. ومع ذلك–وبنقرة من فأرة الحاسوب–فقد عادت القصة سريعاً إلى الظهور في عناوين الصحف بصورة لافتة للنظر، وبمزيج قوي من الحماسة والغضب. "هذه هي الهيمنة والسياسة التوسُّعية الإسلامية"، هكذا كتبت باميلا جيلير التي تردَّدت أصداء ثورتها في غرف الإنترنت. وكان ردّها الساخر–بعد أن علمت أنّ المجلس البلدي في لوير مانهاتن قد صوّت بنسبة ٢٩إلى ١ لصالح السماح للمشروع بالمضي قدماً–كالآتي:"يالها من طريقة جيدة للاحتفال باغتصاب أراضيكم عن طريق بناء مسجد عملاق على أرض مركز التجارة العالمي التي لاتزال جرداء ... ياله من أمر مثير للاشمئزاز"[3].

ونشأت جيلير البالغة من العمر ٥٢ عاماً -وتصف نفسها على أنها "ناشطة في مجال حقوق الإنسان" -في بيت يهودي محافظ في مقاطعة Five Towns في منطقة لونغ آيلاند Long Island [4]. وهي الابنة الثالثة من بين أربع بنات، وكانت تساعد والدها روبين في مصنع الغزل والنسيج، وترافقه أثناء العمل عندما تُعدُّ طلبات الزمّامات (سحّابة أو سوستة الملابس)، وتقصُّ الموديلات للسترات والبنطلونات، وتخيط العيّنات للزبائن. كما تعلَّمت فيما بعد التحدث باللغة الأسبانية بطلاقة، وذلك عن طريق الإنصات لوالدها وهو يتحدّث مع الزبائن من الأسبان في متجره في منطقة بروكلين Brooklyn. وتذْكره قائلة:"إنني أفتقده كثيراً، إذ كنت الابنة المفضلة لديه. لقد تعلّمت منه كل شيء، ولم يكن يخاف من شيء، وكذلك أنا"[5].

وبعد أن أنهت جيلير الدراسة الثانوية في مدرسة Lynbrook High School، سجّلت في جامعة هوفسترا Hofstra، ولكنها غادرتها دون الحصول على مؤهل علمي، ثمَّ التحقت في نهاية الأمر بصحيفة نيويورك ديلي نيوز*New York Daily News* في أواخر الثمانينيات كمحللة مالية، ولكنها كانت تفضل الكتابة على التعامل مع الأرقام المعقّدة. وبما أنّ هناك القليل من المجد في حياة الانسان الذي يعيش وراء الكواليس، فقد كانت تسعى وراء الأضواء حيث يمكن للتعابير التي لا تعرف الخوف، وكذلك الآراء الحادة أن تزدهر. وقدّمت صحيفة نيويورك أوبزيرفير *New York Observer* لجيلير تلك المنصة لمدة خمس سنوات، بصفة ناشرة مشاركة؛ حيث كانت تكتب الأعمدة اللاذعة، والافتتاحيات، كما خاضت أيضاً في مجال الإعلانات[6].

وكما هو الحال عند الكثير من الأمريكيين، وجدت جيلير حياتها منقسمة على عالمَيْن: الأول الذي عاشته قبل ١١ سبتمبر، ٢٠٠١، والآخر الذي قضته فيما بعد. وتحسّرت وهي تستذكر ذلك الصباح عندما ضربت الطائرات المختطَفة البرجَين

التوأم؛ قائلةً:"شعرت بالذنب لأنني لم أكن أعرف أولئك الذين هاجموا هذا البلد، لقد أمضيت سنوات أدرس الأمر قبل أن أبدأ بالتدوين"[7]. وكان الفضاء الإلكتروني قد زوّد جيلير بالوسيلة لكي تحّرر نفسها من الحدود الصارمة التي تفرضها الصحافة المطبوعة، ولكي تعبّر عن آرائها اللاذعة من دون قيود.

وفي شهر فبراير (شباط) ٢٠٠٥، أطلقت جيلير "أطلس الاستهجان" *Atlas Shrugs*، وهو عبارة عن مجلة على الإنترنت جاءت تسميتها نسبة إلى رواية كتبتها المهاجرة الروسية والمحافظة المتشدِّدة آين راند Ayn Rand. وقد أبدت فيه جيلير آراءها حول قضايا مختلفة-على الرغم من أن معظمها كان مخصصاً عن الإسلام-وكانت حماستها للتغلب على "الجنون الإسلامي" هو الشيء الوحيد الأكثر بروزاً على أسلوبها الرفيع أو لهجتها النيويوركية. "هأنذا أرتدي الشادور (البرقع)"، هكذا قالت مازحة إلى الكاميرا في واحدة من عدد من مدوَّنات الفيديو وهي تحتجُّ على "الهيمنة الإسلامية على العالم". وبينما كانت ترتدي لباس السباحة (البيكيني) البنِّي وقد سمَّرت بشرتها مؤخَّراً، قالت وهي تمرح في ركوب الأمواج قبالة سواحل إسرائيل قبل تسليم رسالة أكثر تشاؤماً لمشاهديها:"هناك واقع خطير بحاجة ماسة للتحقق منه في أمريكا، وأنا هنا لأقدمه لكم، ولكنني لست ذات تأثير بما فيه الكفاية. ماذا يمكنني أن أقول؟ وبهذا الخصوص، سوف أذهب للسباحة في البحر، وأزور أمي، وأحارب من أجل العالم الحر"[8]. وفي مدوَّنة فيديو آخر خطيرة نُشرت على اليوتيوب، ظهرت جيلير وهي تتشمّس و"تتفاخر بقوامها" بينما كانت تقضي إجازة في ولاية فلوريدا، وقامت بإرسال تحياتها بمناسبة عيد الميلاد إلى الجنود الأمريكيين المتمركزين خارج البلاد؛ حيث قالت:"أريد أن أشكر القوات لقاء تضحيتهم بكل شيء لكي أستطيع أن أكون هنا في ملابس السباحة، وأفتح فمي الكبير جداً وأقول بالضبط ما أريد قوله". وفي

حين التقطت جيلير مجلة أزياء وجدتها في لوبي الفندق والتي كانت تسلط الضوء على أحدث الموضات المتعلقة بالحِجاب، وصفت تلك الصور بأنها "مغفّلة" وحذّرت مستمعيها من أنّ النسوة في البلدان ذات الأغلبية المسلمة سوف تُقطع رؤوسهن إذا ما ظهرن في إعلانات المجلات إلى جانب عارضي الأزياء الذكور الذين يرتدون الصلبان المسيحية. وتعهّدت قائلة:"لكنني لن أستطرد في الحديث عن الإسلام"، وغيّرت الموضوع تجاه الانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة، فقالت "سوف أؤيّد أي مرشح قادر على الانتصار على عدو المسيح في لائحة مرشحي الحزب الديمقراطي؛ حيث إنَّ الخيار المطروح هو مرشح مسلم"، ذكرت جيلير ذلك وهي تشير إلى (باراك أوباما) الذي أصبح معتقده الديني هدفاً لليمينيين ممن يشككون في خلفيته المتعددة الثقافات:"نعم، إنه مسلم. لقد ذهب إلى المدرسة وتلقى التعليم في إندونيسيا، كما أنَّ والده مسلم، وجدّه مسلم، وزوج أمه مسلم، وهو ليس صادقاً ... على أية حال، وبهذا الخصوص، أردت فقط أن أشكر القوات الأمريكية الرائعة. إنني أحبكم". وتوهّجت ابتسامتها بانسجام مع صدرها المُسمَّر من الشمس، واستطاعت جيلير في غضون أربع دقائق أن تحوّل تحية عيد الميلاد إلى هجوم كامل على المسلمين؛ حيث جاءت كلمة "الشكر" للقوات على شكل استدراك فقط[9].

لقد نفت جيلير عن نفسها الادعاء بأنها عدائية تجاه المسلمين، إلا أن خطابها المشحون عاطفياً، ورغبتها في التحريض ضد أي قضية تتعلق بالإسلام -بغض النظر عن أهميتها -قد أدى ببعض النقاد إلى وصفها على أنها من "دعاة الكراهية"، وذلك من خلال الإشارة إلى سجلها. ففي شهر فبراير (شباط) من العام ٢٠٠٥، دعت جيلير لمقاطعة منتجات شركة نايكي Nike، بعد أن قامت الشركة بتقديم اعتذار للمسلمين لإصدار خط من أحذية التنس مطرزة بألسنة لهب تشبه كلمة "الله"،

ومكتوبة بالأحرف العربية. وكتبت جيلير بغضب بعد أن استرجعت الشركة الأحذية قائلة: "ياله من موقف جبان ومغفّل، ينبغي أن تغيّر الشركة شعارها ليصبح: 'يمكنك القيام بذلك فقط إذا لم يكن فيه إساءة للإسلام، وإلاّ أهرب مثل فتاة صغيرة'. لقد رأيت النبي محمداً في رغيف الخبز في مطعم آيهاب IHOP؛ فهل بدأوا بإحراق الخبز بعد"؟[10] وبعد عدة أشهر، سخرت من مركز شمال سياتل للأسرة North Seattle Family Center بسبب جهوده في تنظيم برنامج سباحة شهري خاص بالنساء المسلمات[11]. وبما أنّ الإسلام يشجع على ارتداء الملابس المحتشمة في الأماكن العامة، فإنَّ السباحة في حمامات السباحة العامة تُعدُّ أمراً غير ممكن لدى الكثيرات. وقد كانت ردود الفعل في المجتمع إيجابية تجاه الجهود الرامية إلى توفير فرصة بديلة لسباحة السيدات. وسرعان ما انضم الكثير من أماكن السباحة العامة الأخرى في جميع أنحاء سياتل، وذلك عن طريق تنظيم أوقات سباحة خاصة لمختلف الجماعات الدينية. وذكر عزيز جونيجو، وهو مقدّم لبرنامج صحفي أسبوعي، وممن يترددون على دورات السباحة الخاصة، أنّ "مدينة سياتل لا تزال تُعدّ مجتمعاً جديداً للمسلمين، حيث مضى علينا ربما عشر سنوات وقد حققنا تقدّماً على نحو مضاعف". وتضيف منال فارس، الأم لثلاثة أولاد، وهي ممن يحضرون أيضاً تلك الدورات،"لقد أمضيت خمسة عشر عاماً في مدينة سياتل، والآن أصبح باستطاعتي أن أمارس السباحة مع أخواتي المسلمات"[12]. وقد رأت جيلير أنّ هذا النوع من توفير الخدمة، مثله تماماً مثل حادثة استرجاع الأحذية، إنما هو جزء من "نموذجٍ يحرّض على الفتنة" يتعلق بالتنازلات لمطالب المسلمين. وانتقدت في مدوّنتها قائلة:"إنّ وقت السباحة المخصص للأخوات المسلمات متوفر حصريّاً للمسلمات؛ لذلك لاحاجة أن تتقدّم الكافرات بطلباتهن". وأضافت: "دعونا نرى، تلك هي الولاية الثالثة التي تخضع

للذِمِّية" dhimmitude؛ حيث استخدمت لفظة جديدة تدل على موقف الاستسلام للمسلمين[13].

وإذا كانت الأحذية الرياضية ودورات السباحة الخاصة قد أثارت غضب جيلير، وأطلقت ضجة من النشاط على الشبكة العنكبوتية بين هؤلاء الذين يبحثون عن قصص مثيرة، فإنّه من المؤكد أنّ حكاية "المسجد الوحش" الشاهق المبني على "الأرض المقدسة" سوف يخلق طوفاناً من الحركة على موقعها على الإنترنت، ويزود جيلير بالانطلاقة التي تحتاج إليها لتصبح من المشاهير بين عشية وضحاها. وبعد كتابة مدوّنة أوّلية عن موضوع بارك ٥١، قامت جيلير بزيارة مواقع التواصل الاجتماعي، على أمل تشجيع الاهتمام تجاه تعليقها. واتخذت جيلير التدوين كعمل لها، ومثل أي مندوب مبيعات معاصر يسعى وراء العملاء المحتملين، فقد أثبتت الشبكات الاجتماعية أنها وسيلة رائعة لذلك؛ حيث تبث الجماهير الأسيرة آراءهم على عدد غير محدود من الموضوعات، مثل بناء "الصداقات"، والانضمام إلى الجماعات التي تحمل ذات التفكير. ومن المؤكد أنه كان بإمكان جيلير أن تبني قاعدة نشِطة من الأنصار الذين يقومون "بالتغريد" لما تنشره من مدوّنات بعبارة "أعجبني" على صفحة "أطلس الاستهجان" الخاصة بها، والقيام بتحديث "الأوضاع" Statuses الخاصة بهم مع تعليقات عن "المسجد الوحش".

وفي غضون ساعة من كشفها عمّا كتبته، نشرت جيلير روابط للموضوع على مواقع الفيسبوك وتويتر، معزِّزة الجدل الذي مازال وليداً بين القراء المحتملين الذين كانوا بحاجة إلى استراحة مثيرة بعد أن سئموا من جلساتهم الدراسية في وقت متأخر من الليل، أو من التصفح المُمِل على الإنترنت. ويعلّق أحد المستخدمين قائلاً:"فقط عندما نعتقد أنّ الأمور لن تصبح أكثر سوءاً، يبرهن النقيض غير ذلك." وتحدَّث

شخص آخر بشدة قائلاً "هذه إهانة لاتصدّق!!! مازال الناس لايفهمون أنَّ الإسلام ليس دين سلام، بل هو دين القمع، والهيمنة، والقتل"! وسرعان ما كان الفضاء الإلكتروني يضجُّ بالحديث عن الجنون الإسلامي.

وكلما ازداد عدد القراء لدى جيلير، أشاد المعجبون بها ووصفوها بأنها "رائعة" و "نبوئية". وعلى الرغم من أنَّ "أطلس الاستهجان" كان قد اجتذب دائماً تدفقاً ثابتاً من المشتركين المنتظمين، إلا أنّ تنصيبها لنفسها كزعيمة المعارضين لمشروع بارك ٥١ شكّل الدعم لقضيتها. والآن، أصبح لدى سكان نيويورك والأمريكيين الآخرين بطل شجاع يحتشدون خلفه. إنّ الزي الضيق للمرأة الخارقة الذي ارتدته على موقعها على الإنترنت وصفحة الفيسبوك أوضحا أنها قوة لا يستهان بها. كما أنّ كفاحها في الدفاع عن العالم الحر ضد تعاظم رقعة الهيمنة الإسلامية هو أمر لن تتراجع عنه سواءٌ أكانت هي أم أتباعها.

وفي شهر أبريل (نيسان) ٢٠١٠، كان متوسط عدد الزوار شهرياً لمجلة "أطلس الاستهجان" ١٨٠,٠٠٠، ولكن بحلول شهر مايو (أيار)، وبمجرد انتشار المعلومات عن "المسجد الوحش" الخطير، قفز ذلك الرقم ليتجاوز حدود ٢٠٠,٠٠٠ زائر[14]. ومن جانبها أنكرت جيلير أنها وراء اهتمام الناس المفاجئ في مشروع بارك ٥١، ووصفت تلك الأطروحات بأنها لا معنى لها ومُذلّة للشعب الأمريكي. وأضافت بسرعة، على أية حال، إنّ أحداً لم يكن يتحدث عن مشروع بارك ٥١ قبل منشورها الأول عن الموضوع في بداية ذلك الشهر. وما كان يُدهش أكثر من ازدياد عدد القراء هو الإحصائيات التي أظهرت عما كان يبحث قُرّاؤها؛ حيث أظهر تقرير خاص بأهم الاستفسارات على الشبكة التي تقود إلى مجلة "أطلس الاستهجان" أنّ ٩٠ ٪ من

مشاهدي جيلير وصلوا إلى مدوّنتها بعد أن أدخلوا اسم "الإمام فيصل عبد الرؤوف" في محركات البحث[15].

* * *

كان رؤوف البالغ من العمر ٦٢ عاماً -والكويتي المولد -إماماً لمسجد الفرح، وهو مسجد في مقاطعة تريبيكا Tribeca district في مدينة نيويورك؛ حيث عمل هناك منذ العام ١٩٨٣. وقد انتقل رؤوف، الطفل ذو العوالم المتعددة، إلى الولايات المتحدة في الستينيات من القرن المنصرم؛ حيث شهد في فترة المراهقة عصر الحقوق المدنية المضطرب-وهي فترة تميّزت بالتمييز العنصري، والتمرد الشعبي، وأعمال العنف. وفي خضم الاضطرابات المدنية، سعى والده، محمد عبد الرؤوف، العالِم اللامع والزعيم الديني، إلى تعزيز مناخ أكثر سلمية يرتكز على التنوع العرقي والتسامح. وبالتواصل مع جماعات الأقليات في الأحياء المجاورة لشارع West 72nd Street، قام بافتتاح المركز الإسلامي لمدينة نيويورك في العام ١٩٦٥ الذي كان يقوم على خدمة العرب والأمريكان الأفارقة من معتنقي الديانة الإسلامية. وكان فيصل الشاب حينها يبلغ من العمر السابعة عشرة، وكانت جهود والده قد دلَّت على رؤيته الخاصة للسلام-وهي رؤية عزّزتها أيضا مأساة وطنية. ففي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١، أدان رؤوف-صاحب الكلام اللطيف-العنف باسم الإسلام قائلاً:"لقد غيَّرتني تلك الهجمات"[16]. ومن خلال تضافر جهوده مع مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI ووزارة الخارجية الأميركية، جرت الإشادة به بوصفه واحداً من الزعماء المسلمين الأكثر بلاغة ومعرفة في العالم؛ حيث كان يقدّم بيانات موجزة لصانعي السياسات، ويتحدث أمام الحكومات المحلية والأجنبية، ويدعو المسلمين في جميع أنحاء العالم لإظهار الاحترام، والصفح، والتسامح.

وفي العام ٢٠٠٩، قام رؤوف، جنباً إلى جنب مع زوجته، بالإعلان عن خطط لمشروع بارك ٥١، وهو المشروع الذي تخيّلاه على أنه التعبير الأقصى لتعزيز السلام. وبحسب رأي رؤوف، فإن جهودهما سوف ترسل "رسالة معاكسة" لما حدث في الحادي عشر من سبتمبر؛ حيث قال: "نريد أن ندفع إلى الوراء ضد المتطرفين"[17]. وسوف يكون المركز الاجتماعي عبارة عن مجمّع موجّه نحو الأسرة، ويحتوي على صالة مجهزة بـ ٥٠٠ مقعد، وصالة سينما، ومركز للفنون المسرحية، وحوض سباحة، وصالة رياضية، ومكان لرعاية الأطفال، ومطاعم، وعلى الرغم من استياء الكثير من سكان نيويورك والأمريكيين الآخرين، فسوف يكون هناك في هذا المركز مسجد. وكانت أهداف مشروع بارك ٥١ تتمثَّل في "تعزيز الحوار، والانسجام، والاحترام بين جميع الناس بصرف النظر عن العرق، والمعتقد، والجنس، والخلفية الثقافية"[18]. وعلى الرغم من أنّ رؤوف كان قد عمل كرجل دين مسلم ما يقارب جُلَّ حياته، إلاّ أن دوره بوصفه إمام المسجد القاطن في بارك ٥١ هو الذي وضعه في عين العاصفة، جاعلاً من الزعيم الديني اللامع والرزين هدفاً للشائعات، والتخمينات، وهجمات الافتراء. وإذا كان بارك ٥١ حقّاً "المسجد الوحش"، فلا شك أنّ رؤوف سوف يُصوَّر على أنه البُعبُع المُقيم داخله.

حتى هذه اللحظة، كان انتقاد جيلير للمركز الاجتماعي موجَّهاً تجاه أعداءٍ متملّصين مجهولي الهوية. وقد ثارت ضد "المجتمع الإسلامي" و"الإسلام"، ولكنها لم تربط مخاطر مشروع بارك ٥١ بأي "مسلم" بعينه، وبهدف زيادة شعور الخوف بين أتباعها، والتأكيد لهم بأن التهديد الذي حذَّرت منه كان حقيقياً؛ كانت بحاجة لتزويد قاعدتها بهدف واضح. إنّ الاسم الأجنبي، واللكنة الشرق أوسطية، والعيون الداكنة والثاقبة الشبيهة بتلك لدى آية الله الخميني جعلت من فيصل عبد الرؤوف الشبيه

المثالي. وفي غضون أيام، أصبح الرجل الذي تتّسم رؤيته بالحوار السلمي بين الجماعات الدينية، يُنظر إليه على أنه العقل المدبر المتآمر للمركز الاجتماعي الذي يُعتقد أنه مقر سرِّي للإرهاب.

وعن طريق إقحام رؤوف في صدارة النقاش المزدهر الآن، حثَّت جيلير قرّاءها على مشاهدة شريط فيديو للإمام في مقابلة أُجريت معه حول بارك ٥١، ويظهر في المقطع شخص يُدعى تيم براون Tim Brown، وهو رجل إطفاء من مدينة نيويورك كان من بين من استجابوا للهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمي؛ حيث يقوم بسؤال رؤوف عن مصادر تمويل المركز الاجتماعي. يقول براون: "إننا قلقون من أن يكون هذا المركز بمثابة حصان طروادة يجري دحرجته إلى أرضنا الأكثر قدسية". "ما مصدر الملايين الكثيرة من الدولارات النقدية التي استُخدمت لشراء هذا العقار"؟[19] امتنع رؤوف عن الكشف عن أسماء "الآلاف من الناس ممن يعيشون ويعملون في المقاطعة المالية[لمدينة نيويورك]"، وهنا تقفز جيلير الهائجة على تعليقاته وتصفها بـ"الخداع الخالص". لم يكن الدليل مهمّاً، فقد رأت جيلير أن عدم استطاعة الإمام على تذكّر أسماء المانحين لمشروع بارك ٥١ في تلك اللحظة أنه دليل كافٍ لما تروِّج له. كما رأت أنّ ذلك يُعدّ دليلاً على أنه كان يُخفي شيئاً ما. وتهمس جيلير قائلة: "لماذا لا يبني رؤوف مركزاً إسلامياً مخصَّصاً لشطب الآيات، والأحاديث وما إلى ذلك، من تعاليم العنف المكتوبة"؟ وهكذا أصبحت لغتها أكثر إلحاحاً على الكراهية مع كل سطر من مدوّنتها[20].

وتحثّ جيلير قرَّاءها في حال عدم تصديقهم الشكوك حيال التمويل الخاص بمركز رؤوف الاجتماعي، بألاّ يتبنوا وجهة نظرها؛ حيث تقوم بتوجيههم بدلاً عن ذلك إلى مدوّنين آخرين ممن يقدّمون -بحسب رأيها -الأدلة المقنعة. "تحقّقوا من

الخلاصة الرائعة التي كتبتها باميلا إتش Pamela H حول موضوع المسجد هنا"، هكذا كتبت جيلير، وقد زوّدت قرّاءها برابط للمدوَّنة الشخصية لباميلا هول Hall–وهي ناشطة من نيويورك كانت قد تصدّرت عناوين الصحف في العام ٢٠٠٧ كمتحدثة باسم "أغلقوا المدرسة" Stop the Madrassa–وهم عبارة عن مجموعة قامت باتّهام مدرسة للّغة العربية في منطقة بروكلين على أنها تفرض برنامجاً إسلامياً متطرفاً داخل صفوفها[21]. كما وصفت جيلير مدوِّنة هول بعنوان "لا لبناء المساجد في الطابق صفر" No Mosques at Ground Zero على أنها "لائحة اتهام مضنية وشاملة" ضدّ بارك ٥١ [22]. وعند الدخول للموقع، يجري استقبال المشاهدين بوابل من الكرات النارية البرتقالية والصفراء من مركز التجارة العالمي، وهي عبارة عن مزيج دخاني من الحطام يختفي في منفاخ من سُحُب الرماد السوداء والرمادية. ويُظهر الموقع مجموعة من الصور المؤلمة جنباً إلى جنب مع صور أخرى أقل إثارة للخوف، على الرغم من أنه يُراد لها أن تكون مزعجة على حد سواء، بالإضافة إلى صور لمسلمين وهم يؤدّون الصلاة في تجمّع عام في مانهاتن. ويذكر السطر الأول من المدوَّنة أنه "ينبغي ألاّ ننسى أبداً ما فعله الإسلام في الحادي عشر من سبتمبر". وكانت هناك تعليقات منتشرة في جميع أنحاء المونتاج الخاص باللّقطات الدموية، مثل "الحقيقة التي لا يمكن تجنبها، وهي أنّ أحداث ٩/١١ عبارة عن هجوم شنَّه الإسلام على أمريكا". وفي حال عدم إظهار قرّائها للخوف من ذكريات البرجَين المتساقطين، تقوم هول بتحذيرهم من مجزرة أخرى؛ حيث تقول: "إننا نمتلك الحق لحماية أنفسنا، وأُسرِنا، ومستقبلنا من أشخاص آخرين من أمثال نضال حسن"، مشيرةً إلى الطبيب النفسي في الجيش الأمريكي الذي قام بإطلاق النار في فورت هود Fort Hood مردياً ١٣ قتيلاً و٣٠ جريحاً.

وكما فعلت جيلير، فقد تكهّنت هول أيضاً حول مصادر التمويل لمشروع بارك ٥١ مقدِّمة الاقتراح بأن فيصل رؤوف كان يُعدّ دمية لدى الحكومة السعودية. كما كانت تعتقد أنّهم سيستخدمونه كوسيلة للوصول إلى العقارات في الأماكن النشِطة أسفل مانهاتن –وذلك لكي يشيّدوا مسجداً شاهقاً يشبه المسجد الحرام في مكة المكرمة. وسألت هول "هل هي الأموال الوهابية [المموِّلة لمشروع بارك ٥١] التي رفضها رودي[جولياني] في العام ٢٠٠١"؟ و"إذا كان الأمر كذلك، فإن أمراً ما يسير على ما يرام لصالح الصوفيين. وربما يشكّل هؤلاء الواجهة لهدف أكبر. وسوف يتعاون معهم السعوديون لإنجاز هدف أعظم، وهو إنشاء مسجد، مسجد "ضخم" في موقع الطابق صفر"[23]. وإذا ثبتت صحة تكهنات هول، فهذا يعني أنّ شارع بارك سوف يتحول سريعاً إلى مكة الجديدة؛ حيث تحيِّي المآذن الشاهقة والأعمدة الرخامية المتفرّجين في مانهاتن، ويطغى صوت الأذان على صرير المكابح الذي تطلقه الحافلات في مدينة نيويورك.

لقد خلقت جيلير توازناً بين الصور المتوهّجة واللغة الانفعالية لعبارة باميلا هول "لا لبناء المساجد في الطابق صفر" مع مدوَّنة أخرى تميّزت بلهجة أكاديمية. فقد وجّهت قرّاءها إلى تأملات يوسف م. إبراهيم، المدير العام لمجموعة الاستثمار في الطاقة الاستراتيجية (SEIG). وكان إبراهيم يكتب عموداً على نحو منتظم لصالح معهد هدسون، وعلى غرار عدد من زملائه، فقد كان يناقش كثيراً مواضيع تتعلق بالإسلام. ومما لا شك فيه، كان موضوع بارك ٥١ واحداً من هذه الموضوعات التي كان إبراهيم يعبِّر فيها بصراحة عن آرائه حيال المركز، وحيال فيصل عبد الرؤوف. وقد أشار إلى أن المئات من المساجد في جميع أنحاء الولايات المتحدة تضاعفت كمراكز ثقافية، ومن ثمَّ لم يكن بارك ٥١ يشكّل استثناءً عن أي دار أخرى من دور العبادة

الإسلامية. ولكنه أشار إلى أن هذه المرافق لم تكن عبارة عن أبراج تتألف من ١٣ طابقاً مع حمامات السباحة، ودور السينما، والبرامج الرامية إلى تشجيع وتعزيز الحوار بين الأديان. وبحسب رأي إبراهيم، كانت المساجد عبارة عن مراكز القيادة السرية؛ حيث يقوم قادتها بنشر الثقافة المعادية للغرب-"إنها دعاية الإسلاميين في الواقع". وأشار إلى أن هدفهم -تماماً مثل مدرَسَة اللغة العربية في بروكلين التي احتجت ضدها بشدة مجموعة باميلا هول- هو تلقين المسلمين المعتقدات المتطرفة باستخدام لغات لا تُفهم بسهولة من جهة الأمريكي العادي الناطق باللغة الإنجليزية:"إنها [المراكز الثقافية] تؤوي أئمة من أصول وثقافة غير معروفة،وكثير منهم لا يتكلمون اللغة الإنجليزية ولكنهم يقدّمون الوعظ باللغة العربية والأوردية،وغالباً ما يتّضح أنها رسائل متطرّفة"[24]. وعلى الرغم من الفصاحة التي عبَّر بها فيصل عبد الرؤوف عن رؤيته لمشروع بارك ٥١، فلماذا ينبغي على الأمريكيين أن يصدّقوا أنّ خطبه باللغة الإنجليزية -داخل منطقة الصلاة -سوف تكون بالضرورة مواعظ عن السلام؟ وعلى غرار باميلا هول، ذكّر إبراهيم قرّاءه أن أولئك المسؤولين عن الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر،٢٠٠١ كانوا من أتباع رجل الدين اليمني المتطرّف الذي قدَّم النصح لنضال حسن قبل ثوَرانه في فورت هود Fort Hood. لقد كانت رسالة إبراهيم واضحة: إذا لم يُرِد الأمريكيون استرجاع إراقة الدماء لتلك المجازر، فإنه من الأفضل لهم أن يكشفوا الحقيقة-كما يراها هو-حيال الإمام الغامض. ويُعدُّ أي ادِّعاء منافس للحقيقة -بحسب وصف باميلا جيلير -أنه من خطاب الكراهية.

لم يكن الأمر مفاجئاً عندما وجّهت جيلير قرّاءها إلى ما دوَّنه إبراهيم. إذ إنَّ لكلا الشخصين تاريخاً يعود إلى العام ٢٠٠٦. لقد لفت إبراهيم -الذي كان يكتب لصحيفة نيويورك صَن*New York Sun*-انتباه جيلير في أعقاب نشره لمقالة بعنوان "مع

الإرهابيين، لتنجح إسرائيل حيث فشلت أمريكا". وما تضمنته المقالة كان عبارة عن نداء من نوع ما، حيث يشجّع على هجوم تقوم بتنفيذه القوات العسكرية الإسرائيلية ضد "الديكتاتوريين العرب المتعفّنين" الذين "يسبِّبون الشرور في الشرق الأوسط"، وعن طريق التوسل لحكومة الولايات المتحدة لدعم هجوم إسرائيلي -يرمي للإطاحة بالزعماء الأصوليين في سوريا وفلسطين- كتب إبراهيم قائلاً أنَّ "الأولوية لما يمكن لإسرائيل أن تقوم به هو توسيع العمليات العسكرية في غزة وتعميقها"[25]. إنَّ مدوّنات جيلير المعادية للمسلمين كانت تتخلّلها التشدّقات المؤيدة لإسرائيل-وتنضوي ٥٩١ من تلك المدونات تحت فئة "إسرائيل:النضال من أجل الخير ضد الشر"-والتي تُثني على إبراهيم بأنه "يروي الحقيقة"، واصفة إياه بأنّه ذلك النوع الجيد من المسلمين الذين يحتاجهم الأمريكيون لاجتثاث المتطرفين[26].

وفي نهاية المطاف، انضمت جيلير لإبراهيم في معهد هدسون -وهو مركز أبحاث محافظ يصف مهمَّته بأنها "محاولة لتشجيع الخطاب المدني بشأن القضايا المهمة في عصرنا"[27]. وانضمّ كلاهما، كمدوّنين مساهمين، إلى مجموعة معروفة من السياسيين، والمثقّفين، والنشطاء ممن يشاطرونهم المشاعر المؤيدة لإسرائيل والمعادية للمسلمين. ونجد من ضمن زملائهما: مارتن كريمير Martin Kramer، وهو باحث في الدراسات الشرق أوسطية الذي أشار ذات مرة أنّ ارتفاع معدلات الخصوبة في البلدان ذات الغالبية المسلمة يشكل أكبر خطر على الغرب[28]؛ والسياسي الهولندي جيرت فيلديرز Geert Wilders، الذي وصف القرآن بأنه "كتاب فاشيّ"، ولكنه تراجع عن ذلك، وقال "أنا لا أكره المسلمين، بل أكره الإسلام"[29]؛ والسفير الأمريكي السابق في الأمم المتحدة جون بولتون John Bolton، الذي كان يُقرِّع السياسيين لرغبتهم "بزيادة التسامح الديني والتفاهم سواء أحببنا ذلك أم لا"[30].

* * *

لا يمكن التقليل من دور الإنترنت في إثارة الكراهية والتحيز. وعلى النقيض من حملات الخوف في الماضي التي كانت تعتمد أكثر على وسائل الاتصال التقليدية، فقد أتاح عالم المدوّنات للناس العاديين المهتمين بالنّزاع ليقوموا بنشر رسائلهم للقاصي والداني. إذ إنّ كل ما هو مطلوب لعمل أي شيء من ذلك، هو جهاز كمبيوتر محمول، واتصال بشبكة الإنترنت.

لقد أصبحت تجمّعات المقاهي واجتماعات غرف المعيشة لأولئك الذين يسعون لتنظيم الانتفاضات الشعبية شيئاً من الماضي. إنّ هذه اللقاءات كانت في وقت ما نقطة الانطلاق، والأرض الخصبة، لمسيرات ومظاهرات ضد عدو مشترك. ويمكن لأصحاب المحال التجارية، والبيروقراطيين، وأصحاب الأعمال الصغيرة، وحتى العاطلين عن العمل الآن تجاوز الانقسامات الطبقية التقليدية بينهم، ويبدأون باستخدام الإنترنت كوسيلة لجذب متابعة أكبر، ونشر الأفكار التي كانت موجودة في السابق فقط بين السكان المحليين للدولة، سواء أكان على المستوى الوطني، أم حتى على المستوى الدولي.

إنَّ الفضاء الإلكتروني يلائم جميع الناس؛ إذ لا توجد هناك استثناءات. كما أنّ خاصية عدم الكشف عن الهوية التي يقدِّمها -حيث يمكنك الجلوس في المنزل في ملابس النوم، وتقوم بجمع ثروة من كتابة أعمدة صحفية عن الكراهية على الإنترنت -مُغرية للبعض تماماً، كما هو الانطباع لمجتمع مشترك؛ حيث يشعر كل مدوِّن، أو كاتب، أو معلّق بملكية التعليقات الجماعية التي تتشكّل. وتتيح أوساط الفيسبوك وتويتر للناس القدرة على التعبير عن إعجابهم "أعجبني like" بما تنشُره، أو "يعيدون تغريده retweet" للآخرين. وتجري مشاركة الصور ومبادلتها. كما يجري تحميل أشرطة الفيديو من موقع يوتيوب، وجمع الآلاف من وجهات النظر. وتُوضع التعليقات

وينجذب المتابعون. وكلّما كان الأشخاص أكثر نشاطاً في عالم وسائل التواصل الاجتماعي، أضحوا أكثر شعبية، واكتسبوا هوية تحمل معنى، وتمنح الشعور بالأهمية والانتماء. ويتحوّل علماء النفس، وأطباء الأسنان، والمصرفيّون في الصباح إلى نشطاء سياسيين يمينيّين في الليل. أما عاملة الاستقبال المكتئبة في وكالة التأمين، فإنها تغادر عملها وتتحول إلى مقاتلة مسلمة باسم "ماما" أو شخصاً معادياً للإسلام باسم "آيرين".

وتُركِّز الشبكات اليمينية المعادية للمسلمين عبر الإنترنت -في معظم الأحيان - على شخصية رئيسة واحدة؛ حيث إنّ شخصاً مثل باميلا جيلير-على سبيل المثال - تُعدّ حاكمة لإقطاعية. ومع غياب الديمقراطية، فإنها تقوم بتحديد النبرة، وتسيطر على الحوار، وتعطي الدفع إلى تضخيم الخطاب الذي يتعفّن تحت القصص، والشائعات، والاتهامات التي تضعها موضع التنفيذ. إنّ المتحيّزين ضد المسلمين الذين يشاركون جيلير جنونها يمتلكون-وذلك بفضل البعد المادي لعالَم المدوَّنات - القدرة، وحتى الحافز ليعبّروا عن الأشياء عبر الإنترنت، بحيث قد يفكرون أكثر من مرّة في هذه الأشياء قبل أن يتفوهوا بها في اجتماع سياسي أو حزبي منظَّم. كما أنّ التصعيد الخطابي الذي توفّره شبكة الإنترنت هو أيضاً نتيجة للترابط بين هؤلاء الذين يسعون إلى صنع هذا النوع من الكراهية، على الرغم من أنهم يبعدون مسافة أميال أو حتى قارَّات عن بعضهم بعضاً.

وإنّ أناساً من أمثال: روبرت سبنسر، أودانيال بايبس، أو مارتن كريمير -وكلّهم من المتحيزين ضد المسلمين عبر الإنترنت - يقومون بترويج منشورات وكتابات بعضهم بعضاً إلى جماهيرهم. وإنه ليس من غير المألوف أن نرى، على سبيل المثال، موقفاً يتشدّق بالكراهية وقد أُعيد طبعه أو جرى نشره عبر الآخرين في عدد من

المواقع عبر عالم وسائل التواصل الاجتماعي. وتبدأ الإشاعة، كتلك التي تشير إلى أن باراك أوباما هو الابن المسلم السرّي من علاقة غرامية لمالكوم إكس Malcolm X، في البريد الإلكتروني لشخص عنصريّ متحوّل إلى مدوِّن، وتكتسب زخماً كبيراً عندما تنتشر من بقعة صغيرة في بلدة مغمورة لتصل إلى الحدود النائية في الدول الأوروبية. ومع كل نقرة من الماوس، تنمو القصة ليس فقط من حيث انتشارها، ولكن أيضاً من حيث مضمونها. والقصة التي تبدأ بتبجّح عرقيٍّ مهووس تتحول بسرعة إلى قصة كاملة عن الاستيلاء المزعوم على الولايات المتحدة من جهة المسلمين المحبّين للاشتراكية الذين يُعتقد أنهم يمقتون فطيرة التفاح، ورياضة كرة (البيسبول) baseball، والحرية، وكل شيء آخر يُعتبر أمريكيّاً في الجوهر.

* * *

بحلول الأسبوع الثاني من شهر مايو (أيار)، تبلورت المسيرة الاحتجاجية الخاصة بالخطط الرامية لـ "أوقفوا بناء مسجد ٩/١١" Stop the 911 Mosque. "لقد اخترنا ٦ يونيو (حزيران) موعداً للمسيرة"، هتفت باميلا جيلير بفخر؛"لأنه يوم النصر. ففي العام ١٩٤٤، وقف الأمريكيون ضد شرور النازية. وقد حان الوقت الآن عند الأمريكيين للوقوف ضد شر الإرهاب الخاص بالجهاد والتعالي الإسلامي"[31]. وعن طريق حث المشاهدين على التجاوب عبر الفيسبوك، نشرت جيلير أكثر من عشرة إعلانات لهذا الحدث على مدوِّنتها على مدى الأيام الثلاثة التالية. وكانت تأمل في توجيه الحركة على موقعها على الشبكة نحو الركن الجنوبي الشرقي من الطابق صفر Ground Zero؛ حيث سيجتمع المحتجون، بما يكفي من المفارقة، عند تقاطع شارعي ليبرتي وتشيرتش Liberty & Church. ولكن جيلير لم تكن

متأكدة أن قاعدتها الجماهيرية على الإنترنت من شأنها أن تؤمِّن الحشد الكبير الذي تأمل تجاوبه معها، ثم قالت "نحن بحاجة إلى كل من في نيويورك".

وقبل أسابيع من الحدث -وفي زيادة من الدعم على نحوٍ مستبصر-قامت أندريا بيسير Andrea Peyser، وهي كاتبة في صحيفة نيويورك بوست، بالتقاط باميلا جيلير من الطبقات العليا للفضاء الإلكتروني وقذفت بها في صفحات سادس أكبر صحيفة في الولايات المتحدة. وتُعدّ أندريا بيسير من سكان مدينة نيويورك اللامعين على ذات القدر من جيلير، وقد جلبت لها الأعمدة الصريحة واللغة العنيفة مزيجاً متساوياً من المشجِّعين والأعداء،ونقلت بيسر عن جيلير في عمود في ١٣مايو (أيار)، ٢٠١٠ بعنوان "جنون المسجد في الطابق صفر،" Mosque Madness at Ground Zero تعلن فيه عن تاريخ المظاهرة المخطط لها[32]. ومع توزيع أكثر من ٥٢٥٠٠٠ نسخة من الصحيفة في جميع أنحاء مدينة نيويورك، سرعان ما انتشر خبر الاحتجاج ليصل إلى الجماهير التي لا تعرف شيئاً عن موقع "أطلس الاستهجان" Atlas Shrugs، وبعد ساعات فقط من وصول الصحيفة إلى أكشاك الجرائد،ابتهجت جيلير قائلة "إنَّ أندريا بيسير تمتلك عموداً دقيقاً في عدد اليوم من صحيفة النيويورك بوست"[33]. وأضافت جيلير "اقرؤوا المقالة بأكملها"، ومن ثمَّ تردّ المعروف من خلال تزويد الرابط للنسخة الإلكترونية من مقالة بيسير. ومع اقتراب ٦ يونيو (حزيران)، ارتفع عدد القراء لدى جيلير كثيراً ليصل إلى أكثر من ٨٨٨,٠٠٠ زائر شهرياً وأكثر من مليون مشاهدة.

* * *

جلس هناك على أحد مقاعد الحديقة في ساحة الحرية Liberty Square، وكان من الواضح أنه قد أصيب بحزن شديد؛ حيث أصبح جسده الهامد، المستقيم على نحو

مثير للدهشة، المثوى الأخير للبقايا الرمادية لإخوته وهي تهبط ببطء من خلال هواء مانهاتن الكثيف. كانوا يُطلقون عليه اسم "الناجي"، وعندما وصل أول المستجيبين من محطة الإطفاء ٥٤ إلى مكان الحادث، كانت نظرته الصامتة من العزلة تُنذر بنتائج خطيرة من صباح ذلك اليوم من شهر سبتمبر.

كانت حقيبته مفتوحة، على الرغم من أنّ كل ما بداخلها كان قد فُقد لفترة طويلة في الحطام السميك وتجمَّع ببطء عند قدميه. اقترب منه رجال الإنقاذ بين الأنقاض المشتعلة، وهم في حالة من الذعر لرؤية هذا الرجل المعروف في الحي المالي في مدينة نيويورك مُنشغلاً فيما يمكن أن يكون كابوساً فقط، وهتفوا له بهدف تقديم المساعدة. ولكن عندما أطل ضوء الشمس من بين بقايا الخراب الناجم عن البرجَين اللذين كانا يُعدّان في وقت سابق من الرموز الجذابة التي تنمُّ عن حالة الرخاء في أمريكا، وَمَضت جبهته كاشفة عن رجل من البرونز، تمثال، وقد تعرّض للضربات والكدمات، ولكنه يُقدِّم رسالة مؤثرة من الأمل لأمَّة قد يتغلّب عليها اليأس قريباً.

وبعد مرور تسع سنوات على ذلك الثلاثاء المشؤوم، ومع عودة الحياة مرة أخرى إلى وضعها الطبيعي في منطقة لوير مانهاتن ، اندمج التمثال الشهير الآن في مجتمع رجال الأعمال الذين يفتشون في أمتعتهم، بينما يأخذون استراحة الغداء. ومع ذلك-ومن بين الحشد الصاخب من المتظاهرين ضد بارك ٥١ الذي غطّى زاوية شارعي ليبرتي وتشيرتش-أظهر سلوكه الهادئ أنه لا ينتمي للمكان. ومع اقتراب وقت الظهيرة، أصبح بالإمكان رؤية أعداد كبيرة من الألوان الحمراء، والبيضاء، والزرقاء على بعد عدّة صفوف من المباني. كما لوَّح بعض المتظاهرين بالأعلام الأمريكية من أمام صالون بلازا للأظافر، وحمل آخرون رسوماً كاريكاتورية للنبي محمد، حيث صُوِّر رأسه على شكل قنبلة يدوية مضاءة. وصرخ رجل قائلاً: "الإسلام

يكره مثليّي الجنس"، إلاّ أنَّ صوت امرأة قريبة فاقه شدَّة هتف قائلاً:"إنَّ الإسلام يكره النساء". وتحت أوراق الشجر الخضراء التي غطت حديقة ليبرتي (الحرية) مثل المظلة، كان "الناجي" Survivor، أو"التحقق المزدوج" Double Check-كما أطلق مصمِّمه عليه هذا الاسم-لا يزال جالساً بهدوء. ومع ذلك وبسرعة، كان يحمل لافتة بالإضافة إلى العلم الأمريكي احتجاجاً على "مسجد الطابق صفر" Ground Zero Mosque وذلك باسم مواطنيه الذين سقطوا. وكُتب على لافتته "يا عمدة بلومبيرغ: إنّ عدم احترامك لرجال إطفاء مدينة نيويورك الذين فقدوا حياتهم هو أمر فظيع. لا لبناء مسجد ضخم عند الطابق صفر!" No Ground Zero Mega-Mosque .

* * *

وحسبما تبيّن فيما بعد، فلم يكن الاحتجاج تحت عنوان "أوقفوا بناء مسجد ٩/١١" من عمل باميلا جيلير بمفردها، بل كان حصيلة جهد مجموعة من الناشئين تُسمّى بـ "أوقفوا أسلمة أمريكا"(SIOA) ، وهي عبارة عن منظمة تشكّلت على شبكة الإنترنت وتصف رسالتها بأنها تعزِّز حقوق الإنسان، وحرية التعبير، والحرية الدينية. وكانت المجموعة -التي هي من أحد الكوادر اليمينيّة من نشطاء الإنترنت الذين مزجوا المشاعر القوية المعادية للمسلمين، مع دعم قوي لإسرائيل-قد شكَّلت نفسها على غرار نظيرتها الأوروبية، "أوقفوا أسلمة أوروبا" (SIOE).

إنَّ مجموعة أوقفوا أسلمة أوروبا، التي تأسست عام ٢٠٠٧، قد ولدت من بنات أفكار شخص يُدعى ستيفن كاش Stephen Cash، وهو قومي إنجليزي وناشط معادٍ للمسلمين، بالإضافة إلى آنديرز جرايفز Anders Graves، الذي ألهمت مجموعته الدنماركية –والتي ظهرت تحت عنوان "أوقفوا أسلمة الدنمارك" Stop Islamization of Denmark -الجهود بهدف تحرّك أوروبي أوسع. وعلى مدى أكثر من ثلاث سنوات،

قامت مجموعة "أوقفوا أسلمة أوروبا" بحملات ضد المساجد عبر بريطانيا والدنمارك؛ وفي ١١ سبتمبر،٢٠٠٩-أي بعد ثماني سنوات من الهجمات الإرهابية على مبنى التجارة العالمي ومبنى البنتاجون-لفتت المجموعة انتباه وسائل الإعلام المحلية منها والدولية. وعن طريق تنظيم مظاهرة ضد خططٍ لبناء مسجد في بلدة هارو Harrow في انجلترا، اشتبك النشطاء من "مجموعة أوقفوا أسلمة أوروبا" مع مجموعة من المتظاهرين كانوا يرمون الحجارة. وفي عاصفة من الغضب، كانت الأحجار المستطيلة، بالإضافة إلى الزجاجات، والألعاب النارية تُقذف بالهواء. وفي نهاية المطاف، تدخَّلت الشرطة واعتقلت عشرة أشخاص. لقد كانت الاحتجاجات مثيرة بالنسبة لجيلير، إذ أثبتت أن جراح ١١ سبتمبر لم تندمل بعد، وأن الرواية التي تتحدث عن فردية الإسلام وضراوته، الذي يسعى جاهداً لإبادة الأمريكيين والأوروبيين بوساطة عقيدته الخطِرة، لم يجرِ استقبالها جيداً فحسب، بل إنها كانت قادرة على توليد انتفاضة على هيئة مصارعين من الناشطين المصمِّمين في سعيهم لإيقافه، خشية أن يلوِّث أرض الأحرار. وفي حين أن جيلير قد اتَّبعت مجموعة أوقفوا أسلمة أوروبا لسنوات، إلا أنّ هذه الحلقة الأحدث من الجدل كانت مصدر إلهام لها للتواصل معهم.

وفي شهر فبراير (شباط)،٢٠١٠، جرى لقاء بين جيلير وجرايفز. إذ حضر كلاهما مؤتمر العمل السياسي المحافظ Conservative Political Action Conference في العاصمة واشنطن، حيث أعلنت جيلير، جنباً إلى جنب مع مؤسس المدَوّنة المثيرة للجدل "مراقبة الجهاد" *Jihad Watch*، روبرت سبنسر، عن خطط لمشروع شراكة جديد تحت اسم "مبادرة الدفاع عن الحرية الأمريكية" The American Freedom Defense Initiative[34]. وعلى الرغم من أن علاقتهما كانت قد بدأت قبل سنوات، إلاّ أن هذه المبادرة تُعدُّ أول جهد مشترك خاص بالأعمال بين جيلير وسبنسر. لقد حدث لقاء

بينهما في مؤتمر عن الإسلام بعنوان "منتدى الحقيقة في أمريكا" في عام ٢٠٠٦؛ حيث كان عبارة عن ندوة عُقدت على مدى يوم واحد أدارها كُتّابٌ، ونشطاء، ورجال أعمال محافظون، وفيها حذّروا من قيام المتطرفين المسلمين بالاستيلاء الوشيك على أمريكا. وفي وقت سابق لتصريحات كان قد أدلى بها سبنسر أمام تجمّع من الحاضرين، كتبت جيلير، التي كانت تدوّن وقائع المؤتمر على نحو مباشر، قائلة:

> إنّ موقع "مراقبة الجهاد" هو الموقع الأكثر شمولاً وفائدة عن الإسلام. ويُعدّ كتاب سبنسر الأخير بعنوان "الحقيقة حول النبي محمد" *The Truth about Muhammad*، الكتاب الحاسم الخاص بهذا الموضوع-ويجب قراءته الآن. وبالإضافة إلى التفكير العميق والبحث الدقيق، لا بد لي أن أخبركم أنني وجدت أنه الشخص الأكثر جاذبية، وسحراً، ودقة، وإيجازاً، وتسلية[35].

ومع تزايد الإعجاب المتبادل بينهما، كان سبنسر وجيلير يتبادلان الثناء على نحو منتظم؛ حيث غالباً ما كان يستشهد أحدهما بكتابات الآخر على أنها دليل موثوق لما يقدّمانه من مزاعم؛ حيث كتب سبنسر في تعليق كانت جيلير قد عرضته بفخر على الشريط الجانبي لموقعها قائلاً:"باميلا جيلير، الشُجاعة، والذكية، والجميلة، ترتدي زي الفتاة الخارقة (سوبرجيرل) Supergirl جيداً" [36].

لقد كان الغرض من إطلاق مبادرة الدفاع عن الحرية الأمريكية-كما وصفها كلٌّ من جيلير وسبنسر-هو التحرك ضد الخيانة التي ترتكبها الحكومات الوطنية، والمحلية، وتلك التابعة للولاية، بالإضافة إلى وسائل الإعلام الرئيسة، والآخرين ممن يستسلمون للجهاد العالمي والتعالي الإسلامي. وهي تهدف أيضاً إلى التصدّي "للمحاولات التي تتحرك بسرعة لفرض الاشتراكية والماركسية على الشعب الأمريكي"[37]. ولتحقيق هذا الهدف، اقترح الثنائي-جيلير وسبنسر-بأنه يمكنهما

الاستفادة من قرائهما على شبكة الإنترنت؛ لتعزيز تحالف متطوع من المناصرين؛ حيث ذكر موقعهما على الإنترنت الآتي:

> سوف تعمل مبادرة الدفاع عن الحرية من خلال موقعَيْ "أطلس الاستهجان" و" مراقبة الجهاد" (اللذين سجّلا مجتمعين ٢٢ مليون مشاهدة للموقع في الاثني عشر شهراً الماضية) بهدف زيادة الوعي بالقضايا ذات الصلة، وذلك باستخدام قاعدتنا ("مراقبة الجهاد" ٣٠,٠٠٠ مشاهدة للموقع في اليوم الواحد، و"الأطلس" ٢٥,٠٠٠ مشاهدة يومياً، و٢ مليون مشاهدة في الشهر لكليهما مجتمعَين) بهدف تأسيس حركة[38].

وتتحقق الخطوة الأولى في بناء هذه الحركة؛ وفقاً لاعتقاد جيلير وسبنسر، بوساطة الدمج. وعن طريق تأسيس المبادرة من خلال إنشائها كشركة غير ربحية، فإن هذا الأمر يمكِّن الثنائي من تلقّي المِنح العامة والخاصة، كما يمنح المانحين المحتملين تَرَف التخفيضات الضريبية. وبهدف التوسع خارج حدود المدوَّنات والدفع بالصراع إلى الشوارع الأمريكية؛ فإن الثنائي سوف يكون بحاجة إلى التمويل. وتبيّن لهما أنّ ولاية نيوهامبشاير New Hampshire–وهي الولاية التي يملك فيها سبنسر رخصة إقامة–هي المكان المناسب للحصول على الترخيص؛ وذلك عن طريق الاستفادة من عنوانه البريدي في مدينة بيدفورد ليكون العنوان الرسمي للمنظمة؛ ووفقاً لقوانين ولاية نيو هامبشاير، فإنَّ مجلس الإدارة في الشركات غير الربحية ينبغي أن يشتمل على ما لا يقل عن خمسة أُمناء مستقلِّين. ومن ثمَّ، فإنَّ جيلير وسبنسر أصبحا في حاجة إلى ثلاثة موقِّعين آخرين. وجاء مؤتمر العمل السياسي المحافظ Conservative Political Action Conference (CPAC)، الذي يُعدّ الأرض الخصبة لنُشطاء الجناح اليميني الذين يحملون ذات التفكير، ليقدِّم الفرصة المثالية للعثور عليهم.

كان جون جوزيف جاي John Joseph Jay في حشد من الفتيان الجمهوريين المصابين بالإحباط، وهم يعبِّرون عن ابتهاجهم حيال اللغة النارية لـ راش ليمبو Rush Limbaugh وجلين بيك Glenn Beck. وكان يصف نفسه بأنه "صهيوني ممتاز"، و "عجوز مُزعج وضيع"، وهو ينحدر من مدينة ميلتون فريواتر Milton-Freewater، في ولاية أوريغون. وكانت مدونته بعنوان "وطنيُّ الصيف، جنديُّ الشتاء" *Summer Patriot, Winter Soldier* تعجُّ بالخلاعة والغضب. وتنصبُّ اهتماماته-حسب وصفه على الموقع-على "السيدات العاريات، وكذلك السيدات العاريات الأكبر سنّاً وأنا أتقدَّم بالسِّن، وعندما يتقدم بي السِّن، أفكِّر بالسيدات العاريات الأكبر سنّاً"[39]. ويقول في إحدى المدوّنات المثيرة للجدل على وجه الخصوص إننا "إذا أردنا استئصال الطبقة الحاكمة، فسوف يكون ذلك عن طريق العنف. اشتروا البنادق، واشتروا الذخيرة، وكونوا غيورين على الحريات الخاصة بكم، وافهموا، أنه سوف ينبغي عليكم قتل الناس، وقتل أعمامكم، وأبنائكم وبناتكم؛ وذلك من أجل الحفاظ على تلك الحريات"[40]، ثمَّ كتب في وقت لاحق:"كل المسلمين هم في حالة حرب معنا، وجميع المسلمين مقاتلون. ليس هناك مسلمون أبرياء، وليس هناك براءة في الإسلام"[41]. وكان جاي قد تتبّع "أطلس الاستهجان" الخاص بجيلير لسنوات عدّة، ووصفه بأنه"المدوَّنة الأفضل في أمريكا"[42]. وبالتأكيد فإنّ هذا الدعم يمكن أن يُترجَم إلى توقيع على ترخيص شركة جيلير الخاص بمبادرة الدفاع عن الحريات FDI. وبقليل من الإقناع، قام جاي بالتوقيع على الوثيقة، ومن ثمَّ أصبح من الأعضاء الذين لديهم حق التصويت في مجلس مبادرة الدفاع عن الحريات FDI، كما قام بتسجيل الصندوق البريدي الخاص بجيلير في نيويورك على أنه عنوان التواصل الخاص به[43].

وكان ريتشارد ديفيس Richard Davis من بين أولئك الذين كانوا في الحشد، وهو من المحاربين القدماء في مجال البحرية من مدينة ويست تشيستير West Chester في ولاية بنسلفانيا، وقد قدّمت مدوّنته وهي بعنوان "كلاب الراعي" Sheepdogs عرضاً منوَّعاً من التعليق الخاص بوجهة نظرالمحافظين على الأحداث الجارية. وجاءت تسمية المدوّنة نسبة إلى ذلك النوع من الشخصية الذي يصف الناس ممن لديهم الاستعداد لمواجهة المخاطر من أجل مساعدة الآخرين، وكان "كلاب الراعي" من مقاطعة تشيستر هم عبارة عن مجموعة من متعصِّبي حزب الشاي الذين ثاروا ضد الأقليات. حيث صرخ أحد أعضاء المجموعة في جمعٍ من الأمريكيين الأفارقة قائلاً:"اعملوا خيراً بحق أنفسكم واحصلوا على وظيفة. احصلوا على التعليم أيها المغفَّلون"، وقام آخرون برفع لافتات تُظهر باراك أوباما وهو ينحني لزعماء من العرب، وقد كُتب عليها عبارة "تحقَّقَ الإذعان"[44]. وفي وسط الخلفية الملفوفة بالعَلَم على موقع المجموعة، وصف ديفيس باميلا جيلير بأنها "صديقة قديمة ومناصرة"، وأنها "شخص استثنائيٌ ينطق بالحقيقة"[45]. "أعتقد أنها تشبه روجر دالتري Roger Daltrey"، هكذا قال ديفيس لصحيفة نيويورك تايمز في شهر أكتوبر (تشرين الأول)،٢٠١٠، مشيراً إلى المغنِّي الرئيس في فرقة The Who الموسيقية الذي جعل موسيقاهم الغريبة الأطوار تصبح مشهورة. "لقد كان وسيماً، ويتمتع بشخصية قوية، وهكذا أجد باميلا جيلير. إنها تُمثّل الشخص الذي يكون في الواجهة لكثير من بيننا ممن يشعرون بذات الطريقة"[46]. لقد وافق ديفيس أن يكون أحد الموقِّعين. وكما فعل جاي، فقد قام هو الآخر بتسجيل الصندوق البريدي الخاص بجيلير على أنه عنوان التواصل الخاص به.

والتقى سبنسر وجيلير في نهاية المطاف بـ آنديرز جرايفز؛ حيث أدركا التأثير القوي الذي سوف يُحدثه وجوده في مجموعتهما. وعلى النقيض من جاي وديفيس،

اللذين لم تُقدِّم مواقعهما الرصينة أية قيمة إضافية باستثناء توقيعهما، فقد كانت مظاهرات جرايفز المعادية للمسلمين في جميع أنحاء أوروبا تحظى باهتمام جيلير مسبقاً. وانضم جرايفز إلى مبادرة الدفاع عن الحريات FDI بصفته عضواً في مجلس التصويت، وقام بالتوقيع على الترخيص؛ مما جعل المجموعة تأخذ طابعاً رسميّاً. وبعد أن قام جرايفز باستجداء سبنسر وجيلير لفترة طويلة كجزء من جهوده لتوسيع مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا" SIOA، وجد في هذا الأمر فرصة مثالية لمبدأ المعاملة بالمثل؛ وأضاف قائلاً:"لقد تناقشت مع ستيفن [جاش] لبعض الوقت عن الواقع بأن مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا" SIOA لم تتطور بالاتجاه الذي رغبناه"[47]، و"يوجد هناك مجموعات بما يكفي ممن يقومون بالكتابة فقط عن الإسلام،ولكن هناك القليل ممن يفعلون شيئاً في محاولة لإيقاف أسلمة الحضارة الغربية. لقد كان الهدف من مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا" SIOA أن تقوم بالإجراءات اللازمة، كأن تنظِّم المظاهرات، وتخلق الأحداث ضد أسلمة الولايات المتحدة"[48]، وطلب جرايفز من جيلير وسبنسر أن يكونا نظيريه الأمريكيّين، وأن يتقلَّدا خوذة مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا" SIOA. وبعد أن وافقا على ذلك، كتب جرايفز في الثاني من أبريل (نيسان) ،٢٠١٠ إعلاناً على موقع المجموعة قائلاً:

> إنَّ قادة مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا" هما باميلا جيلير وروبرت سبنسر. إذ بعد أن بذلنا الجهود لفترة من الزمن في إقناعهم بتحمِّل المسؤولية، فها نحن نحصل على موافقة كلٍّ من باميلا جيلير وروبرت سبنسر ليكونا قائدا المجموعة. إننا نعتقد أنهما الشخصان المناسبان اللذان سوف يدفعان بالمجموعة إلى صدارة الصراع ضدَّ أسلمة الولايات المتحدة[49].

وبعد الحصول على توقيع جرايفز، قام سبنسر بعد يومين بتقديم بنود الاتفاق الخاص بالشركة بهدف تأسيس مبادرة الدفاع عن الحريات FDI، وذلك إلى سكرتير ولاية نيوهامبشاير.

وبعد ذلك بوقت قصير، قدَّمت جيلير اقتراحاً ومخطوطة جزئية لكتاب، وبعنوان مناسب،"أوقفوا أسلمة أمريكا". وبحسب ما جاء في الاقتراح الخاص بالكتاب، فقد عدَّت جيلير أنَّ روبرت سبنسر مؤلف يفتقر إلى الخبرة في موضوع قصص الأشباح؛ حيث كتبت:"هذا الكتاب هو بمثابة دليل لمحاربة الشريعة الزاحفة على مدارسنا، وبلداتنا، وثقافتنا، وحكومتنا، واقتصادنا"، وأضافت:"سوف يوضِح الكتاب كيف يتسلَّل التعالي الإسلامي خلسة إلى كل جانب من جوانب الحياة الأمريكية، ويُبيِّن للأميركيين كيف يقاومون هذا الأمر"[50]. وكما هو الحال مع مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا" و"مبادرة الدفاع عن الحريات"، فإن الكتاب سوف يكون مدعوماً عن طريق شبكة الإنترنت. حيث كتب جيلير وسبنسر:"يمكننا تنسيق الأحداث الصاخبة والإعلانات الدعائية بين الموقِعَين على الإنترنت وهما AtlasShrugs.com، و JihadWatch.org، اللذين يستقطبان معاً ما يقارب ١٥٠,٠٠٠ زائر يومياً؛ حيث يمكن أن تَظهر اللافتات الدعائية للكتاب على الموقِعَين معاً. وسوف نقوم أيضاً بتنبيه المعجبين على موقعنا على الفيسبوك حول إطلاق مجموعة "أوقفوا أسلمة أمريكا"، وسوف نوجِّه القرَّاء إلى الصفحة المقصودة للكتاب"[51]. وفي الوقت الذي وصل فيه اقتراح الثُنائي إلى مكتب الوكيل الأدبي الخاص بهما، كان كتابهما الأول بعنوان "مرحلة ما بعد الرئاسة الأمريكية" قد دخل في طبعته الثانية. ومع الحصول على سلفة مالية ضخمة وإنفاق الآلاف من الدولارات على مظهرهما، قام سبنسر وجيلير بإنشاء صناعة حِرَفيَّة من المدونات المعادية للإسلام.

* * *

"وأريد أن أقدِّم لكم شريكي في مجموعة أوقفوا أسلمة أمريكا، روبرت سبنسر"، هكذا ترددت كلمات باميلا جيلير في أنحاء الصفوف الأربعة من المباني التي

كانت مغلقة من أجل الاحتجاج بمناسبة "أوقفوا بناء مسجد ١١/ ٩". لكن الحشد الذي كان قد هدأت حماسته في تلك المرحلة، صفَّق لسبنسر على نحو متواضع، وصرخ بعضهم قائلاً "نحن نحبك يا روبرت"[52]. ولكن محبتهم لهذا الشخص القصير والبدين-الذي أعطى نفسه لقب "الباحث" -كان ضعيفاً على نحو ملحوظ بالمقارنة مع محبّتهم القوية حيال جيلير.

كان سبنسر يرتدي بدلةً وقبعة كرة (البيسبول) عندما توجَّه إلى المنصة، وقام بتعديل الميكروفون قبل أن يستهلَّ تصريحاته المُعدَّة مسبقاً؛ حيث بدا تماماً مثل الأستاذ الجامعي الحريص على تقديم رسالته المنمَّقة بعناية. ثمَّ سأل الحشد: "هل سئمتم من الذين يكذبون عليكم"؟ و"هل سئمتم من تشويه سمعتكم؟ إذ إنّ كل سياسي في مدينة نيويورك، وكل وسيلة من وسائل الإعلام الرئيسة تذكرهذا الموضوع، وتقول إنّ القضية تتعلق بالتسامح مقابل التعصب، ومَن تعتقدون أنهم المتعصبون حسب رأيهم"؟ وأملاً في استعادة الجمهور المتضائل، ردَّ سبنسر بسرعة:"إنهم الأمريكيون الذين يدافعون عن القيم الأمريكية ضد الأجندة الأكثر تطرُّفاً وكراهية على هذا الكوكب". وفجأة، هدرت الجماهير المتواجدة بين أركان شارعي ليبرتي وتشيرتش بالموافقة، واستيقظ بحر الرايات الأمريكية الذي كان يتضاءل في إحدى اللحظات[53].

لقد بدأ اهتمام روبرت سبنسر بالإسلام في بداية الثمانينيات من القرن العشرين. وكان قد نشأ في عائلة كاثوليكية، وعَرف عن أصوله التركية -في بداية الأمر-من جَدّيه اللذين قَدِما إلى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى بفترة قصيرة. كانت القصص المتعلقة بالحياة خارج حدود وطنه في أمريكا تستحوذ على اهتماماته تماماً مثل القصص الخيالية في مرحلة الطفولة أو الروايات البوليسية. ويستذكر سبنسر قائلاً:"كانا [الجدَّان] يتحدَّثان بطريقة إيجابية وموحَّدة عن الحياة هناك". لقد "جعلاني

مفتوناً بها تماماً بحيث استفدت من أول فرصة سنحت لي عندما دخلت الجامعة وقرأت القرآن، وبدأت بدراسة اللاهوت والتاريخ الإسلامي"[54].

التحق سبنسر بجامعة نورث كارولاينا في تشابيل هيل University of North Carolina at Chapel Hill، ودرس بدايات التاريخ المسيحي، وتابع إلى أن التحق في نهاية المطاف بالدراسات العليا، وحصل على درجة الماجستير في تخصص الدِّين. وعلى أية حال، فقد بدا اهتمامه بالإسلام أمراً سطحيّاً؛ إذ لم يتضمن ذلك أية دورات دراسية أو تدريب رسمي، على الرغم من أنّ أنصاره عادة ما يشيرون إليه باعتباره "المفكر الرائد" في هذا المجال. تخرَّج سبنسر في عام ١٩٨٦ وتنقّل في عدد من الوظائف المرتبطة بالبحوث لصالح منشورات دينية كاثوليكية؛ ومع ذلك فعندما كان يجري الضغط عليه للحصول على تفاصيل بشأن حياته المتعلقة بمرحلة ما بعد الجامعة، فإنه كان يقدِّم تفاصيل غير كافية. ولا شك أنّ من نصّب نفسه خبيراً، وكتب "أحد عشر بحثاً وأكثر من ثلاثمائة مقالة حول الجهاد والإرهاب الإسلامي"، فإن الستة عشر عاماً وهي المدة التي قضاها بين مرحلة الدراسات العليا ونشر كتابه الأول ستكون مفعمة بالمشاريع الجديرة بالملاحظة والموجهة نحو بناء مصداقيته كمفكِّر في موضوع الإسلام.

وكما تبيَّن لنا، فقد انتقل سبنسر إلى حي برونكس Bronx في مدينة نيويورك بعد أن تخرَّج بفترة قصيرة من الدراسات العليا، ثمَّ اشتغل بتدريس مادة الدِّين في إحدى المدارس الثانوية الكاثوليكية الخاصة. وإلى جانب ذلك، فقد كان يكتب لصالح المجلات الدينية بما في ذلك "المجلة الرعوية والوعظيّة" *Homiletic and Pastoral Review*، و"الأزمة" *Crisis*، و"الوقائع" *Chronicles*، و"هذه الصخرة" *This Rock*، وهذه المجلَّة الأخيرة وصفت نفسها بأنها "المجلة الأفضل في علوم الدفاع عن المسيحية والتبشير بالإنجيل". وتنوّعت مقالاته بين مقالات تدور حول مذهب

الغنوسطية gnosticism والمراجعات الطويلة عن البابوية؛ حيث تخللت كتاباته حكايات كشفت عن قناعاته الشخصية. "لقد أصبحت مؤمناً بمبدأ العصمة من الخطأ، وكاثوليكيًّاً مؤمناً بـالبابا بوصفه ممثِّل المسيح وخليفة القديس بطرس"، هكذا قال دون تردّد بعد دقائق من الإشارة إلى الكهنة الذين هزت فضائحهم الفاجرة الكنيسة الكاثوليكية واصفاً إياهم بـ "الخراف البابوية السوداء، أو ربما الذئاب البابوية"، وتابع قائلاً "معظمهم من الأوغاد الفاسقين الذين كانوا منشغلين جدّاً بالشرب والزنا مما أبعدهم ذلك عن العقيدة"[55].

وكما هو الحال مع جيلير، فقد وجد سبنسر أنَّ ميوله للإثارة قد جرى كبحه وفقاً لمعايير وسائل الإعلام المطبوعة، وخاصة المنشورات التي تُقرّها الكنيسة؛ لذلك بدأ في البحث عن فرص أخرى تلائم تأملاته الساخرة، إذ كان يأمل أن يجعل من نفسه واحداً من الشخصيّات الفكرية العامة، ومن ثمَّ كان في حاجة إلى منبر يصل من خلاله إلى تحقيق ذلك. ولكن سعة الاطلاع في التاريخ المسيحي المبكر لم تكن لتجذب المقابلات التلفزيونية الأكثر مشاهدة، كما أنها لن تجعل منه أحد المشاهير. لذلك، كانت الفرصة الحقيقية الوحيدة أمام سبنسر في ذلك الوقت هي وجود المحفِّز-أي وجود حدث مثير يستحوذ على اهتمام أمريكا ويستدعي آراء "الخبراء"-ومع حدوث الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر، عاد اهتمامه بالإسلام مرة أخرى بكل قوة؛ مما أتاح له الفرصة لاستغلال الجروح المفتوحة للأمّة المكلومة، وتصوير نفسه كأحد الرفاق الأمريكيين المساندين الذين يمكن أن يُسهموا ببعض الآراء الفكرية المتعلقة بالقضايا السائدة حيال عقيدةٍ يُساء فهمها.

كتب سبنسر أنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) "طُلب مني أن أكتب أول كتاب لي بعنوان "كشف النقاب عن الإسلام"؛ وذلك بهدف تصحيح بعض

الأفكار الخاطئة حول الإسلام التي كانت منتشرة على نطاق واسع في ذلك الوقت"[56]. إلاّ أن دار النشر "انكاونتر بووكس Encounter Books" لم تُعِر اهتماماً إلى حقيقة أنّ سبنسر ليس لديه خلفية عن الدراسات الإسلامية أو المجالات ذات الصلة، حيث إنّ وجهات النظر السياسية المحافظة الخاصة به تتماشى مع سمعة الشركة في تعزيز مبدأ الاستثنائية الأمريكية والتراث المسيحي اليهودي. كما أن الشركة سوف تستخدم تاريخه في نشر الدوريات الكاثوليكية في الترويج لمرجعيته في مجال الدين؛ مما يتيح له فرصة تجاوز المجلات المغمورة وبناء مستقبل مهني، مستفيداً من المخاوف التي قد تنجم عن هجوم إرهابي آخر. وبما أنّ الكثير من الأمريكيين ليسوا على دراية بالتاريخ، والتقاليد، واللغة الخاصة بالدين الإسلامي، فقد أتاح ذلك فرصة لسبنسر للوصول إليهم.

كانت مأساته بسيطة، حيث أقنع قرَّاءه أنَّ مخاوفهم التي فجَّرتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر كان لها ما يبرِّرها. ومن ثمَّ قام بمضاعفة هذه المخاوف من خلال التحذير من حدوث هجمات في المستقبل؛ مما يدل على أن أحداث ذلك اليوم القاتل كانت جزءاً من خطة أكبر لإرهاب الأمريكيين، والعمل على إبطال الدستور، وإقامة امبراطورية إسلامية. وفي خِضَمِّ كل تلك الأخبار السيئة كان هناك شيء من الأمل يُراود سبنسر بهدف تحقيق مآربه؛ إذ يمكن العثور، بطبيعة الحال، في صفحات كتبه، على الملاذ الذي يقدِّمه لقرائه عن طريق تأكيد مخاوفهم، والإجابة على أسئلتهم، وتذكيرهم بأنه لم يفت الأوان للقيام بعمل شيء ما: فما زال من الممكن كبحُ جماح المسلمين. وتناثرت فيما بين العناوين الفرعية لكتاب "كشف النقاب عن الإسلام"، عبارات باللغة العربية تنمُّ عن كونها أجنبية؛ إذ أصبحت مصطلحات مثل "الجهاد"، و"الشريعة"، و"الذمّي"، و"الكافر" كلماته الرمزية التي تُخفي وراءها الإشارة إلى الإرهاب، وشكَّلت مخزوناً من التعبيرات تتميَّز بالتهديد والوعيد، وقام باستخدامها

لكي يُثبت للقارىء تمرُّسه في هذا الشأن، ويروِّج لوجود تهديد محتمل من عدو أجنبي. وإذا كان القراء مهتمين في " كشف النقاب" عن التهديد المتستّر للإسلام، فإنه من المؤكد أنهم سوف يتزاحمون على المكتبات لاكتشاف "الحقيقة " عن مؤسس "الدين الأكثر تعصباً في العالم" بعد ثلاث سنوات.

ولكن قبل أن يكرِّس سبنسر نفسه تماماً لمهنة الكتابة عن الإسلام، شعر بوجود التزام للعودة إلى مجتمع القراء الذي احتضن أولى تأمُّلاته فيما بعد المرحلة الجامعية؛ حيث قام في سبتمبر (أيلول)، ٢٠٠٣ بالدخول في شراكة مع دانيال علي-وهو مسلم عراقي اعتنق المسيحية-وذلك بهدف كتابة كتابه الثاني وهو بعنوان "الإسلام من الداخل: دليل للكاثوليك ". وعلى الرغم من أنَّ سبنسر كان قد كتب عن العقيدة الكاثوليكية وناقش بصراحة خلفيته الدينية، إلاّ أنه صرَّح أنّ تحول تركيزه من المسيحية إلى الإسلام لم يكن مدفوعاً بأجندة دينية شخصية. ومن ثَمَّ، فإن النفور تجاه عقيدة ما-الناجم عن المعتقدات الراسخة حول إشراقة عقيدة أخرى-أمر لا يتماشى مع التقاليد العلمية الموضوعية. وأعلن سبنسر بوضوح قائلاً "لا توجد لديَّ أجندة دينية"، مؤكداً أن تفسيره للجهاد ينبع فقط من تحليل نزيه وسنوات من البحث والدراسة[57]. ولكن في مقابلة أجراها في عام ٢٠٠٣ مع صحيفة زينيث ديلي ديسباتش *Zenith Daily Dispatch* التي كان يناقش فيها كتاب " الإسلام من الداخل"، ذكر سبنسر اعترافاً مذهلاً؛ إذ قال:

> إنَّ الإسلام يشكِّل تحدِّياً متزايداً إلى الكنيسة والمسيحيين ككل؛ إذ يُعدُّ -وفقاً لمعظم الاعتبارات- الدّين الأسرع نموّاً في العالم؛ ومن ثَمَّ، فإنه من الواجب على كل مسيحي، سواء أكان لم يلتقِ بمسلم قط، أم قام بنشر كلمة الله لأحدهم، أن يكون على دراية بالدين الإسلامي على اعتبار أن هذا الدين يُعدُّ وفقاً للكنيسة المنافس الأهم للنفوس، والأكثر حيوية في الوقت الحاضر[58].

وعندما سُئل عن مستقبل العلاقات المسيحية الإسلامية، أجاب سبنسر: "يعتقد الكثيرون أن الأب الأقدس-من خلال قبوله للقرآن الكريم-والمجمع الفاتيكاني الثاني قد أشارا إلى أن جميع الأديان تقوم بعبادة إله واحد حقيقي ولكن بدرجات متفاوتة، وقد جرى تضمين المسلمين في خطة الخلاص، ومن ثمَّ لا ينبغي أن يُنَصَّروا. ولكن الواقع هو ليس كذلك"[59]. في تلك اللحظة الصريحة، كشف سبنسر عن الأسس الأيديولوجية لاهتمامه المفاجئ بالإسلام؛ إذ يُعدُّ الأمر بالنسبة له، تماماً مثل الكثير من المتشددين الذين ينتقدهم، على أنها معركة من أجل النّفوس-إنها حرب محصلتها لاشيء؛ بهدف الحصول على مقعد على طاولة السماء. وبوصفه واحداً من محاربين الله المختارين، فقد كان من واجبه أن يكشف العقيدة الزائفة للدين الإسلامي.

* * *

وفي عام ٢٠٠٣ كان سبنسر يأمل أن تصل رسالته إلى جمهور أكبر؛ فقام-عن طريق تحوله إلى عالم التدوين-بتأسيس ما يُعرف بـ "مراقبة الجهاد" أو "جهاد ووتش" *Jihad Watch*، وهي عبارة عن يوميات يكتبها على الإنترنت، يعتقد هو أنها "تجذب انتباه الجمهور إلى دور عقيدة الجهاد في العالم الحديث"[60]. وفي البداية، جاء التمويل والدعم المستمر لمدوّنة "جهاد ووتش" عن طريق مركز ديفيد هورويتز للحرية، الذي سُمِّي بذلك نسبةً إلى مناصرٍ لسياسة المحافظين الذي ادَّعى ذات مرة، أنَّ "جمعيات الطلاب المسلمين" الموجودة في الجامعات، هي عبارة عن جماعات متطرفة، أسَّسها أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين، وهم العرَّابون في تنظيم القاعدة وحركة حماس، بهدف تسلُّل الجهاد إلى قلب التعليم العالي الأمريكي.

وبعد تسجيل المدوّنة كمنظمة تعليمية غير ربحية، تناول سبنسر "جهاد ووتش" تحت عنوان "دراسات دولية "، وأعلن في منشوره الثاني على الموقع عن

مدوّنة "مراقبة الذمّية" أو ذمّي ووتش*Dhimmi Watch*، واعتبرها نظيرة لمدوّنة "جهاد ووتش" التي سعت إلى دحض التفسيرات الإيجابية حول التاريخ الإسلامي، أو الكتاب المقدس عن طريق الإيحاء بأنّ هذه القراءات كانت تفتقر إلى الفهم الحقيقي للطبيعة الشريرة للإسلام، وأنها كانت ذات طابع استسلامي[61]. ثمَّ أيَّد سبنسر كلامه بشواهد فقال: "يقول بعض الناس أن اليهود والنصارى محميِّون -على وجه التحديد في القرآن الكريم-بوصفهم من أهل الكتاب؛ ولكن لا توجد هنا كلمة واحدة،بطبيعة الحال،في جميع مدارس الشريعة الإسلامية إلى ما يشير إلى الخنوع و الذل كثمن لهذه 'الحماية'"[62]. وفي مثال آخر،علَّق سبنسر قائلاً:"يقول الناس أنّ بعض الجماعات في الشرق الأوسط اليوم تختلف مع السياسات الخارجية للولايات المتحدة، وهذا شأن سياسي وليس قضية دينية بحتة. وفي الواقع، فإن الأمر يتعلق كلِّيّاً بالدين – إنه يتعلق بأولئك المتطرفين الإسلاميين الذين يرون أن أية حكومة تُعدُّ غير شرعية ما لم تطبِّق أحكام الشريعة الإسلامية"[63]. وكان سبنسر يقدِّم ردّاً بارعاً على كل تفسير من الكتاب المقدس أو حدثٍ ما من شأنه أن يضع الإسلام في ضوء إيجابي؛ مما يجعل تلك الاستنتاجات مغلوطة ومضلِّلة. ووفقاً لوجهة نظره، فإن دين الإسلام المعتدل والمتسامح-الذي ينبذ العنف ويدعو إلى التسامح-هو دين غير موجود: "إذ لا يوجد هناك تيار تقليدي شائع في الإسلام، أو مدرسة فقهية إسلامية إلاّ وتحثُّ على محاربة غير المؤمنين وإخضاعهم"[64]. ولإثبات هذا الادعاء العام، اطّلع سبنسر على عناوين الصحف اليومية من وكالات الأنباء في كل ركن من أركان العالم، وقام بتجميع أبشع القصص الإخبارية المثيرة، ونشرها في مدوّنته اليومية. لقد اتَّبع سبنسر نهجاً حياديّاً- حيث إنّ أي خبرٍ يأتي به سوف يفي بالغرض، طالما يتحدّث عن المسلمين وهم متورِّطون في أعمال مشبوهة، أو أعمال تتَّسم بالعنف؛ إذ يرى سبنسر أنَّ أيَّ شجار

بسيط في أحد الأحياء إنَّما هو فتحٌ جهاديٌ. وتضمَّنت منشوراته مواضيع ذات صلة، مثلَ "قطع يد سارق الشوكولاته الإيراني،" و"محكمة إسلامية: لا بأس أن تضرب زوجتك طالما لم تترك أية علامات"، و "في المملكة العربية السعودية: طلَّق رجل زوجته بعد أن صفعته على سبيل المزاح"، و" الجهاد في مرحلة ما قبل المدرسة". وعرض الشريط الجانبي لموقع سبنسر بفخر عبارات التأييد له، والتي كانت تأتي-في الغالب-من زملائه المدوِّنين. ومن ذلك ما وصفه بها دانيال بايبس، صاحب مدوَّنة "مراقبة الحرم الجامعي" أو "كامبُس ووتش" *Campus Watch*، إذ أشار إلى أنه يُعدُّ "المحلل الأمريكي الأبرز حول الإسلام"، في حين ذكرت باميلا جيلير أنَّ "روبرت سبنسر هو الصوت الرائد في المعرفة والتفكير في عالمٍ جُنَّ جنونه"[65].

وفي الأعوام السبعة التي تلت إطلاقه لمدوَّنة "جهاد ووتش"، نشر سبنسر خمسة كتب أخرى عن الإسلام. إلاّ أنَّ الكثير من العلماء المشهورين في الكتابة عن الإسلام رفضوا كتاباته، بما في ذلك كارل إيرنست-وهو أستاذ بارز في الدراسات الإسلامية في الجامعة التي درَسَ فيها سبنسر.* وذكر إيرنست أنَّ "كُتُبَ سبنسر تنتمي إلى فئة التطرف المعادي للإسلام، والذي تقوم على تعزيزه ودعمه المنظمات اليمينيّة التي تسعى إلى ترسيخ نوع من التعصُّب مماثلٍ لمعاداة الساميّة والتحيّز العنصري". وأضاف "يجب أن يُنظر إلى هذه الكتب بعين الريبة من جهة أي شخص يرغب في الحصول على معلومات موثوقة، وعلميَّة حول موضوع الإسلام"[66]. ومع ذلك، فقد أصبحت كتب سبنسر من

* وللمفارقة، فقد وصف سبنسر ذات مرة إرنست بأنه من أحد "علماء الإسلام"، حيث كان يستشهد بكتابه بعنوان "في أعقاب محمد" كمصدر لكتابه بعنوان "الحقيقة حول محمد". بعد سنوات، وبعد أن وصف إرنست سبنسر بأنه "معادٍ للإسلام"، توقّف سبنسر عن ثنائه، وأصبح يشير إليه بأنه "أكاديميٌّ بالدِّعاية".

الكتب الأكثر مبيعاً، وكوَّنت مدوَّنته قاعدة موثوقة ومخلصة من القرّاء. وبحلول شهر أكتوبر (تشرين الأول)،٢٠١٠، كان سبنسر قد نشر أكثر من ٣١,٠٠٠ مدوّنة، وحصد أكثر من ٣٠,٠٠٠ مشاهدة يوميّاً، وجاء ترتيبه الثاني في نتائج البحث على محرك غوغل لموضوع "الجهاد". هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كان مشروعه مربحاً أيضاً؛ حيث كان يجني راتباً سنوياً يزيد على ١٤٠,٠٠٠ دولار.

* * *

"إنَّه الجهاد، أيها الغبي"، صرخ بهذه العبارة أحد الرجال، وقد جحظت عيناه بالتزامن مع تدحرج حبات العرق على وجهه. وكان يمسك بقبضة يديه المرتعشتين لوحاً أبيضاً من الفلِّين، وقد تناثرت خلاله كلمة "الشريعة" بأحرف حمراء غامقة تسيل مثل الدماء؛ ثمّ صرخ رجل آخر قائلاً:"لقد سئم سكان نيويورك من الجهاد وسوف نقاوم ذلك"، وكانت لافتته البيضاء تنزف أيضاً بالكلمة التي تتألف من ستة أحرف، وتعبر عن "الشريعة الإسلامية". ثمَّ ظهر حشد غفير من لافتات الجهاد والشريعة أثناء المسيرة الاحتجاجية التي كان شعارها "أوقفوا بناء مسجد ١١/ ٩". أمّا العبارات التي كانت موجَّهة في لحظة ما إلى فئة معينة، فقد خرجت فجأة عن سياقها واندفعت نحو المسلمين كدليل على نواياهم العنيفة.

وعلى بُعد أمتار يسيرة من الحاجز الفولاذي الذي كان يفصل الحشود الغفيرة عن المنصة، وقفت امرأة تحمل لافتة كُتب عليها "إنَّ مسجد قرطبة الخاص بالإمام فيصل سوف يطالب بقانون الشريعة". وعندما بدأ روبرت سبنسر في الكلام، كانت اللافتات المتمايلة قد تضاعفت بسهولة، كما هو حال جهاز التلقين عن بعد الخاص به. "إنّ الإمام فيصل عبد الرؤوف كما هو معروف يدعم جلب القوانين الإسلامية، أي الشريعة، إلى الولايات المتحدة"، هكذا قال سبنسر وقد دفع الهواء أمامه:

إنَّ الشريعة تُنكر حرية التعبير؛ ووفقاً لقوانين الشريعة، إذا كنت مسلماً وتركت الإسلام، فسوف تكون عرضة للقتل؛ ووفقاً لقوانين الشريعة أيضاً، فإن هناك تمييزاً مؤسَّسياً ضد المرأة وضد غير المسلمين، وهذا الأمر يُعدُّ مناهضاً للولايات المتحدة، وضدَّ الحرية، ومعادياً للإنسانية، ولن ندع ذلك يحدث، نحن هنا لندعم أمريكا[67].

وتضاءل صوته في هدير من التصفيق. "لا تنخدعوا بالمظاهر"، ثمَّ تابع سبنسر حديثه-بعد أن عاد إلى الميكروفون لأداء جديد-"يقولون إنها سوف تكون مختلفة لكنهم سوف يقرأون ذات القرآن، ويدرِّسون ذات الشريعة الإسلامية التي جعلت الخاطفين التسعة عشر يدمِّرون مركز التجارة العالمي، ويقتلون ٣٠٠٠ من الأمريكيِّين"[68].

دخل موقع "جهاد ووتش" النقاش حول موضوع بارك ٥١ في اليوم التالي للضجة التي خلقتها تعليقات باميلا جيلير في الفضاء الإلكتروني حول "المسجد الوحش". في ذلك الوقت، كان روبرت سبنسر يحضُر منتدى فيينا ٢٠١٠ ويحذِّر الجمهور من تزايد "الإصرار والعداء من جهة المجتمعات الإسلامية في الغرب"، وكان المنتدى تحت رعاية معهد هدسون (وهو نفسه مركز الأبحاث المحافظ الذي استضاف كتابات جيلير و يوسف إبراهيم)،وكان بمثابة إجازة عمل لعدد من المتحدِّثين المُدرَجين في الجدول،الذين كانوا يستمتعون بأطباق المقبّلات أمام التلال الخضراء المنحدرة، والهندسة المعمارية النمساوية،وكان ذلك في وقت الاستراحة بين حلقات النقاش التي كانت تحمل عناوين مثل "التكامل أو الانفصال"؟،و"العيش مع الإسلام"،و"ماذا يجب أن نفعل"؟ وفي غياب سبنسر، كانت زميلته ماريسول سيبولد Marisol Seibold تشغل مكانه وتقدِّم آراءها حول "مسجد الطابق صفر" في لهجة أهل العلم (كانت سيبولد قد شجَّعت ذات مرة قاعدتها الجماهيرية على موقع

"جهاد ووتش" للمشاركة في فعالية "ارسموا محمداً" Everybody Draw Muhammad Day). "توجد هناك مشكلتان"، هكذا كتبت وهي تسعى لمعارضة فيصل عبدالرؤوف الذي ذكر بأن مشروع بارك ٥١ سوف يحضُّ على التسامح. ثمَّ تابعت القول وهي تنتقي آيتين من القرآن كدليل دون أن تقدِّم أي سياق لما تعنيه الآيتان: "لقد كان الإسلام هو الدافع وراء تلك الهجمات، وإنَّ الإسلام لديه مشكلة مع التسامح كما توضح النصوص والتعاليم الخاصة به"[69].

بعد ثلاثة أيام، عاد سبنسر من النمسا، وبعد عرض مجموعة متنوعة من الصور من فيينا، دخل بثقله على الجدل القائم حول مشروع بارك ٥١. وكتب قائلاً: "لقد كان وضع المساجد عبر التاريخ الإسلامي كتعبير عن الغزو والاستعلاء على غير المسلمين". ثمّ تابع قائلاً: "لا يمكننا هنا استبعاد إمكانية الخداع؛ وذلك بالنظر إلى أن عبد الرؤوف لديه تاريخ من الإدلاء بتصريحات لطيفة تُظهر أنها تؤيد المبادئ والقيم الأميركية، ولكن عند الفحص الدقيق نجد أنه يتمسَّك بالشريعة"[70]. وخلال الأسابيع الثلاثة التالية، قام سبنسر بنشر أكثر من ٣٠ تدوينة حول بارك ٥١ على مدوّنته، وكان معظمها يركِّز على فيصل عبد الرؤوف وما سمَّاه سبنسر بـ "الجهاد المتسلِّل"، وهو عنوان لكتابه الذي أصدره عام ٢٠٠٨. ووفقاً لتعليقات سبنسر وتصريحاته، فإنَّ الإرهابيين لن يقوِّضوا أمريكا بالبنادق، أوالقنابل، أو حتى الطائرات المختطفة، وإنَّما عن طريق التسلل إلى المجتمع كأطباء، ومحامين، ومصرفيِّين، وصحفيين، وكأمريكيين عاديين في الظاهر. وهم يهدفون إلى تطبيق "الشريعة الزاحفة"، ويتطلّعون لاقتلاع الديمقراطية، وإسكات سيدة الحرية، والسيطرة على الولايات المتحدة بوساطة الشريعة الإسلامية. وكتب سبنسر "إنه الجهاد، ولكنه من النوع الذي يعمل قادته من داخل المجتمعات والمنظمات الأمريكية، وفي كثير من الأحيان يحظون بالاحترام

والامتنان من زملائهم وأقرانهم غير المسلمين"[71]. ومما لا شك فيه، فقد كان سبنسر يعتقد أنَّ فيصل عبد الرؤوف هو واحد من "الجهاديِّين المتسلِّلين" – حيث أنَّ سلوكه السلمي كان عبارة عن قِناع، وإذا لم نقُم بإحباط مؤامرته بسرعة، فإن أرض الأحرار سوف تصبح قريباً الولايات الإسلامية الأمريكية. وكتب أحد المشاركين على موقع "جهاد ووتش" تحت الاسم المستعار "مربِّي خنازير قلِق" قائلاً:"يا لها من مفاجأة. إنّ لإمام المسجد ذي الثلاثة عشر طابقاً ارتباطاً بجماعة إرهابية"، وعلَّق آخر "يتوافق ذلك مثل اليد في القفّاز. سوف أنشر هذا الموضوع"[72]. في يونيو (حزيران)، كانت مدوَّنة سبنسر تستقطب ما يزيد على ٣٦١,٠٠٠ زائر شهريّاً، ولكن بحلول يوليو (تموز)، وبعد الوقفة الاحتجاجية "أوقفوا بناء مسجد ٩/١١"، ارتفع ذلك العدد ليتجاوز ١,٣ مليون زائر.

* * *

في يوليو (تموز) ٢٠١٠، ألقى نيوت غينغريتش Newt Gingrich الخطاب الرئيس في معهد انتيربرايز الأمريكي في منتدى بعنوان "أمريكا في خطر". وبحلول الساعة الثانية مساءً، كان قد تجمَّع حشد لا بأس به في مركز وهلزتيتر Wohlstetter للمؤتمرات، وكان الكثير منهم من جماعات الضغط، والناشطين، وصناع القرار، والصحفيين. صعد غينغريتش بهدوء إلى المنصة ورحَّب بالجمهور؛ ولم تنبئ تحيته الرزينة عن الخطر الجسيم الذي كان على وشك أن يحذِّر منه. "أمريكا في خطر"، قالها بوضوح، ثمّ انتظر لحظات قليلة لكي يهدأ روعه قبل أن يمضي بمناقشة التهديد الذي يشكِّله الإسلام المتطرِّف. ومرة أخرى قال "أمريكا في خطر"، وكانت لهجته هذه المرة أكثر إلحاحاً من المرَّة السابقة. لقد أصبحت هذه العبارة لازمة متكرِّرة، تُذكِّر الجماهير في فترات مختلفة بأنَّ الخطر لم يكن محتملاً يلوح في الأفق، بل إنّما هو حقيقة حاضرة.

عبَّرت الجماهير عن موافقتها بإيماءة بالرأس، ودوّن الصحفيّون كلماتهه على عجل، وكانت أصوات أقلامهم تنطلق بسرعة عبر صفحات دفاترهم في الوقت المناسب لكي تحصل على الحكمة الثمينة التالية. وقال "إنّه صراع مع الإسلاميين المتطرفين في شكلهم المحارب والآخر المتسلِّل:

إنَّ الشكل المحارب يتَّجه إلى استخدام القوة العسكرية في شكل ما. بينما يتّجه الشكل المتسلِّل إلى استخدام القوة الثقافية، والفكرية، والسياسية، ولكن الهدف النهائي هو ذات الشيء تماماً. إنّ مكافحة الشريعة والمدارس الدينية في المساجد التي تُعلِّم الكراهية والتعصب، هي قلب حركة العدو التي ينطلق منها الإرهابيون[73].

لقد اتضح فيما بعد أنّ غينغريتش كان قد بلع الطُعم الذي أعدّه سبنسر. حيث إنه مع قيام المتحدث السابق باسم البيت الأبيض الآن بتكرار عبارة "الجهاد المتسلِّل"، فإنّ ذلك سيكون عامل جذب كبير بين اليمينيِّين الذين كانوا يحذِّرون من حدوث صدام بين الحضارات.